حرب «داحس والغبراء»

ربّما مِنَ الأشياء التي تُثير العَجب أسباب بعض حروب العَرب، خاصّة قَبل الإسلام، ولكن المُتخصّص في التاريخ يَعرِف أنّ هذه الأسباب يَحكمها تقاليد وعادات صارِمة، ومن هذه الحروب حرب «داحس والغبراء»، والتي ظلّت قائِمة ٤٠ عامًا كاملة.

كان العَرب قَبل الإسلام شديدي التعصّب لقبائلهم ونسبهم، وكلّ قبيلة تتحَيّن الفرصة لتظهر على قبيلة أخرى بخصلةٍ من الخصال.

كانت قبيلة «غطفان» من القبائل الضاربة في جذور الجزيرة العربية، ومنها جاءت قبيلتيّ «عَبس» و»بني ذُبيان»، كانت قبيلة «بني ذبيان» هي المسئولة عن حماية قوافل الحَجّ التابعة للمِلك «النعمان بن المُنذر».

قام قُطّاع الطرق بسَلب إحدى قوافِل الحُجّاج المَناذِرة، وهو ما سبّب غضبًا، شديدًا من المِلك النعمان؛ استغلّ «قيس بن زُهير" زعيم قبيلة "عبس" ذلك الموقف -كما يقولون اصطاد في الماء العَكر- وطَلب من المِلك النعمان أنْ تتولّى قبيلته حماية

الحُجّاج المَناذِرة مُقابِل عطايا ومِنح لقبيلة ''عبس''، وهو ما وافق عليه ''النُّعمان بن المُنذر''.

غضب ''حذيفة بن بدر'' زعيم قبيلة ''ذبيان''، واشتدّت غيرته، وقرّر مُقابلة زعيم «عبس» بمُرافقة وفدٍ من قبيلة «ذبيان»، تَصادَف أنْ كان يوم المُقابلة هو يوم سِباقٍ للخَيلِ؛ فقرّر الطرفان أنْ يَدخلا السباق بفرسين لهما، ومَن يسبق له حق حماية الحُجّاج.

كان لـ ''قيس بن زُهير'' فرس لا يُشق له غبار يُقال له ''داحِس'' ولـ «حُذيفة بن بدر» فرس يُقال لها «الغَبراء» لا تَقلّ كفاءةً عن الفرس «داحس»، كان السباق يَمتدّ لعِدّة أيامٍ بين دروب الصحراء، فأوعز شقيق ''حذيفة بن بدر» لبعض أتباعه إنْ رأوا «داحسًا» يتَقدّم على «الغبراء» فليقفوا في وجهه، وهو ما حدَث بالفعل أثناء السباق؛ تكَشّفت تلك الواقِعة فقامت الحرب بين «عبس» و «ذبيان»، وساند ''ذبيان'' عِدّة قبائل لها ثأر مع ''عبس'' مثل قبيلة «طيء»، وهي التي منها حاتم الطائيّ مضرب المثل في الكرم.

استمرّت تلك الحرب ٤٠ عامًا، وهي من أطول حروب العرب، إلى جانب حرب «البسوس» وحرب «بني أصفهان» وحرب «الفجار».

مات في تلك الحرب زعيم قبيلة «عبس» وشقيق زعيم قبيلة «ذبيان»، مات فيها أيضًا الفارس الأشهَر «عنترة بن شداد» بسهمٍ مسمومٍ وعمره ٨٠ عامًا.

انتهت الحرب بَعد أنْ قام اثنان من كِبار قبيلة «ذبيان» وهما «هَرِم بن سِنان» و«الحارث بن عَوف» بإطفاء نار الحرب عن طريق دَفع دِيّة القَتلى من الطرفين، وانتهت بفَرض قبيلة «ذبيان» سَطوتها على قبيلة «عبس».

يُذكر أنّ الشاعر ''زُهير بن أبي سُلمى'' قد مَدح هذا الصلح في مُعلّقته الشهيرة.